الحسين (ع) يحتج بالعروبة

للاستاذ شمس الدين الخطيب الموسوي
الملاحظ بمديرية العمل والضمان الاجتماعي

« ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان — ان لم يكن لكم دين »
« وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احرارا في دنياكم وارجعوا »
« الى احسابكم وانسابكم ان كنتم عربا كما تزعمون »
« الحسين (ع) »

لم يكن الحسين « ع » في موقفه الرهيب بحاجة الى التدليل على احقيته بالامر فهو ابن رسول الله « وسبطه وهو فرخ علي بن ابي طالب « ع » وشبله وهو بعد اشرف قريش حسبا ونسبا واكثر علما وفضلا، واجلهم مكانة وتعظيما . مكانة تجعله حكما بين المختلفين وملاذا للبائسين وكهفا للمحتاجين ومنارا للمهتدين. مكانة يغبطه عليها الاشراف من قريش كابن الزبير وابن عمر واضرابهما . مكانة تجعل والي المدينة في حيرة من امره في قتل الحسين « ع » او القاء القبض عليه . مكانة خلدت اللعنة الدائمة على اعدائه وظالميه الى يوم يبعثون وهو الامام سواء اقام مطالبا بحقه ام قعد عن المطالبة به. امام تنقاد لدعوته الالوف من الأعناق وتخضع لأوامره الالوف من الرجال . أمام تملؤه شارة الرياسة وتجلله هيبة العلم وتحوطه رعاية النبوة وتكفله عناية الامامة وتحميه قلوب المؤمنين وتذب عنه سيوف الشهداء والصالحين . له من المكانة مكانة دونها كل مكانة وله من وسامة الطلعة محبة لا تدانيها اية محبة، وله من رجاحة العقل اتزان يزلزل رجاحة ذوي العقول، وله من كمال التدبير وحسن السياسة مايقعد عنه المدره الحكيم والحول القلب، وله من الفصاحة والبلاغة من ثاقب الحجة ونير البرهان مايدحض به اباطيل العدو — ويهتك بها استار اضاليله . والأدلة على ذلك اكثر من ان تحصى واجل من ان تستقصى وهذا امر من البداهة بحيث لاينتطح فيه عنزان وذلك كاضطراب الوليد وذهوله عند طلب اخذ البيعة منه وكتابة الوليد الى عبيد الله بن زياد في ايصائه به . وكتجمع قبائل تميم في البصرة للنهضة الى نصرته. وكمكاتبة اهل العراق بالنهوض بهم والشخوص اليهم . وكائتمام الحر به واصحابه في الصلاة عند ملاقاته اياه بذي «خشب» وكقول الشمر فيه عند سماعه لخطبته يوم الطف « كلموه فأنه ابن ابيه والله لو وقف فيكم يوما كاملا لما انقطع ولما حصر » .

ثم ان هذه المكانة وتلك المنزلة كانت اشد ما تكون قوة في قوم عرفوا الحسين « ع » وخالطوه في اهل — العراق شيعة ابيه وانصاره منها في غيرهم من معارفه وخلطائه. اليس كل من كان يلقى الحسين « ع » في طريقه اليهم فيسأله عنهم يجيبه بأن القلوب معه والسيوف عليه . فهم واياه كما قال الأزري .

ان يمتلوك فلا عن فقد معرفة الشمس معروفة بالعين والأثر
قد كنت في مشرق الدنيا ومغربها كالحمد لم تغن عنها سائر السور

نعم لم يكن قدر الحسين « ع » بالمجهول عند اعدائه الذين حاربوه ولا كانت مكانته بالمكانة غير المعروفة لديهم ولا احقيته بالخلافة مدحوضه منهم . كيف يكون مجهول القدر لديهم وهو لم يقدم عليهم إلا لأنهم كاتبوه بان ينهض فيهم مطالبا بحقه ام كيف يكون غير معروف المكانة وهم يرشحونه للخلافة بل يمنونه الرياسة وهو يمنيهم الأمرة. الم يكتبوا اليه بأن الشريعة قد اميتت والبدعة قد احييت والحدود قد عطلت والمآثم قد ارتكبت وهم يطلبون منه الوقوف في وجه هذه المظالم وردها

وان شخصا يطلب اليه القيام بهذه المهمة العظيمة لابد وان يكون على جانب عظيم من المكانة في النفوس والمهابة في القلوب والاكبار في العيون بالمنزلة التي ذكرت ولا بد وان يكون من كاتبه من هؤلاء اعرف بمكانته واعلم بفضله. وانما ارتكبوا منه الذي ارتكبوا ضلالا وكفرا مبينا دفعهم اليه الحرص والأطماع في الجوائز الموهومة التي كان ابن زياد يمنيهم بها ويعدهم اياها فآثروا الظلالة على الهدى والكفر على الايمان والى ذلك اشار الشريف الرضي بقوله :

قتلوه بعد علم منهم انه خامس اصحاب الكسا

لذلك حقت عليهم كلمة العذاب فبئس ماسوّلت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . وكل حركة من حركات الحسين « ع » في ذلك اليوم كانت له دليلا قاطعا عليهم بأنهم مقدمون على امر فيه هلكتهم وهلكة الامة من بعدهم واضمحلال الدين واندراس الشريعة بحيث يقطع معاذيرهم ويدحض حجتهم . وبعد افلا يحق للحسين « ع » تقريعهم بقوله — « تبالكم ايتها الجماعة وترحا . افحين — استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرخناكم مؤدين مستعدين سللتم علينا سيفا في رقابنا وحششتم علينا نار الفتن جناها عدونا وعدوكم فأصبحتم إلبا على اوليائكم ويدا عليهم لأعدائكم من غير عدل افشوه فيكم ولا أمل اصبح لكم فيهم الا الحرام انالوكم من الدنيا وخسيس عيش طمعتم فيه . من غير حدث كان منا ولا رأي تقبل لنا . فهلا لكم الويلات اذ كرهتمونا وتركتمونا . تجهرتموها والسيف لم يشهر والجأش طامن والرأي لم يستحصف واسرعتم علينا كطيرة الذباب وتداعيتم كتداعي الفراش فقبحا لكم . »

هذه الكلمة هي التي قيل عنها ان الحسين « ع » لم يسمع المتكلم قط ابلغ منه في منطق . نعم هذا الفيض من معين بلاغة علي بن ابي طالب « ع » وفصاحته بل من ينبوع كلام النبوة وعذوبته . وهذا الكلام هو الحجة الدامغة والقول الفصل وهذا الاحتجاج هو الذي تنخلع له القلوب وتهوى عنده حجة الخصم وتذل له اعناق الخلاف .

ولم يترك الحسين « ع » سبيلا من سبل الاقناع والاحتجاج إلا سلكه القاءً للحجة ودحضا للاعتذار . وذلك تكليف الامام من الله ان يهدي العمي عن ضلالتهم ويرشد الضال الى لاحب المحجة . وكان عليه « ع » ان ينبههم اشفاقا منه عليهم فينقذهم من الهوىّ في اسفل درك من النار وكان عليه ان يخبرهم بعظم الجرم وجلال الجريرة التي هم عازمون على اقترافها ولولا ذلك لما قال لهم « ياأهل العراق اسمعوا — قولي حتى اعظكم بما يحق لكم علي . » واي حق لهم عليه ؟ ؟ واي واجب عليه لهم عنده ؟ ؟ الا الهداية والارشاد . هداية الامام للرعية تضل عن الطريق وارشاد المصلح الامة تنكب عن سبيل النجاة ولكن انى لتلك القلوب القاسية بالهداية والرشاد .

قست القلوب فلم تمل لهداية تبا لهاتيك القلوب القاسية
لاينفع الوعظ قلبا قاسيا ابدا ولا يلين لوعظ الواعظ الحجر

فيقول له الشمر لسنا نفهم ماتقول . فيقول [اقول اتقوا الله ولا تقتلوني فأني ابن بنت نبيكم] وهذا ضرب من ضروب الاحتجاج والتعطف تكاد تقشعر له الجلود وترجف منه الافئدة وترتعد له الفرائص لو خوطبت به الجبال لخرت هدا ، ولو نوديت به الصم من شعوف الجبال لأنقادت اليه طاعة وخنوعا ولو دعيت به الجمادات للبته طوعا وانقيادا . وهذا ضرب من ضروب التهديد والاشفاق والدعوة الى العمل بما في الكتاب من وجوب البر بأهل البيت « ع » والمودة المفروضة فيه بالقربى توشك ان تهدى الصم البكم الذين لايعقلون . ولكن لمن تخاطب يا اباعبد الله . انما تخاطب قوما في طغيانهم يعمهون وفي ضلالهم سادرون وللدنيا وزخرفها طالبون وعن الدين والشريعة ناكلون . تخاطب قوما استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وغشيتهم محبة الدنيا فأعمت ابصارهم واصمت اسماعهم وطبعت على قلوبهم . فأنى لمن ران على قلبه ان يعي هذه الكلمة اويقنع بهذا الدليل .

« وان يروا كل آية لايؤمنوا بها حتى يروا العذاب الإليم »
وعظ الكتائب بالكتاب وفي آذانهم من وعظه وقر
فانصاع يسمعهم فيها مهنده آيات فصل دونها العذر

والا فاية حجة تقوم لهذا الدليل أم اي برهان يقف امام هذا الاقناع .

ومذ آيس (ع) منهم من دين يردهم عن الضلال او شريعة تصدهم عن الغي او ايمان يقيهم سوء العاقبة وعلم ان القوم انماهم مرضى القلوب فكان كالطبيب يعرف العلاج فيخونه

العلاج لأمر مقدر محتوم لاحول له به ولا قوة فعالجهم بالعلاج النفسي بعد العلاج الديني اذ اخذ يستفز الحمية الجاهلية فيهم ويستثير النخوة العربية عندهم علها تكون الكي لما استعضل من دائهم قائلا « ويحكم ياشيعة آل ابي سفيان ان لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد فكونوا احرارا في دنياكم وارجعوا الى احسابكم وانسابكم ان كنتم عربا كما تزعمون » ولكنه وجدها فيهم صفر الوطاب .

فياله من مِنذر يليغ ويله من طبيب نطاسي ويله من عالم نفساني ويله من إمام هاد « حكمة بالغة فما تغني النذر » ويالها من صرخة مدوية تصم الاسماع وتذهل العقول .

هكذا فليكن الافصاح بالحجة وهكذا فليكن الادلاء بالدليل . وهكذا فليكن القول الفصل . ويالها من كلمة ماأقصر لفظها وابلغ مدلولها وما اوجز حروفها واعظم مغزاها الحسين « ع » يحتج بالاخلاق العربية والنخوة العربية والطبيعة العربية . افلهذه وتلك في العرب ميزة عنها في غيرها من الشعوب ؟ ام العروبة التي انتدبها الله لنشر دينه وميزها على الامم على لسان نبيه « ص » تعود فتميز على شفتي حفيده ؟؟؟ نعم الحسين (ع) يحتج بالعروبة لانها تضم في جوهرها اسمى معاني الانسانية وتحتفظ في لبابها بأرقى الاخلاق البشرية .

الم تقع الحروب الطاحنة بينهم لخفر حقوق الجوار ؟ فيقتل الملك بناب من الابل ، الم يتكل الآباء بالابناء حماية للدخيل وائتمانا على الودائع ومحافظة على العهد ؟ ؟ الم تهلك القبائل العربية باستغاثة الملهوف واعانة الضعيف يوم حليمة ؟؟ الم تعقد الخناصر بينهم في حلف الفضول وحلف لقعة الدم استجابة لنصرة المظلوم ورد الظالم ؟؟ الم يؤثر العربي السائل على نفسه ؟؟ الم يف العربي بوعده ولو كان فيه حتفه في يومي البؤس والنعيم ؟؟ الم يفي العربي بوعده برهن قوسه عند — كسرى ؟ ؟ الم ينج دريد ابن الصمة ربيعة بن مكدم عدوه عندما انكسر رمحه ابقاءً عليه لشجاعته ؟؟ الم يكن الاسلام في جوهره وحقيقته الا اخلاق العروبة الفاضلة منزهة عن الشوائب والرذائل التي كانت تعلق بها ؟ اليس الاسلام دين العرب المتغلغل في صميم حياتهم ؟ نعم كل ذلك قد كان وكل اولئك — الحق ولولا ذلك لما آمنت به الاعراب الذين هم اشد كفرا ونفاقا ولولان الاسلام يلتئم واذواقهم لما اسرعوا اليه وتفانوا في سبيله . الا تسمع الى اكثم بن صيفي يقول لعشيرته (كونوا في امر محمد « ص » اولا ولا تكونوا آخرا فما ترك الاول للآخر من شيء ان الذي يدعو اليه محمد (ص) لو لم يكن له اصل لكان في الاخلاق حسنا) .

نعم هذه هي العروبة في لبها وجوهرها ولذلك اختارها الله لنشر — دينه وبث دعوته واصطفاها لهداية خلقه وبريته

وجدير بالحسين ان ينبه اعداءه المدعين لها الى مافيها من خلق رفيع وذوق سليم وعقل راجح ورأى حصيف . بل جدير بالحسين « ع » ان ينطق بهذه الحجة عليهم ليخلدها صرخة في مسمع الدهر تنحني لها الاجيال هيبة للعروبة وتؤمن بان قاتليه لم يكونوا منها الا براء او ادعياء .

شمس الدين الخطيب الموسوي

للشيخ حمادي الكموائ الحلي

فلو كان حياً نبي الهدى محمد كان المعزى به
ولو كنت فاطمة تنظرين سلب العدو لأثوابه
خلعت فؤادك للحزن أو كساك المصاب بجلبابه
فما خلت من قد براه الإله في الدهر غوثاً لمنتابه
به الخطب ينشب أظفاره ويمضي به حد أنيابه
ويبتاسمى رفعة فاغتدى وشهب الهما دون أطنابه
تخر الملوك له سجداً وتهوى الملائك في بابه
تطيل الوقوف بأبوابه وتستاف تربة أعتابه
تضيع فيه حقوق الإله ولم ترع حرمة أربابه
وتدرك ثارات أو ثانها اميمة في قتل أوابه
وتهتك منه الحجاب الذي ملائكه بعض حجابه
وتسبى كرائمه جهرة الى أشر النبي كذابه
فليت الوصي يراهن في يد الشرك أسرى لمرتابه
تجوب بها البيد عجف النياق فيقذفهن لأسهابه
وكافلها ناحل يشتكي مع الأسر من ضر اوصابه
يصابرها محناً لم تدع من الحلم شيئاً لأربابه
يشاهد ارؤس سمر العدى تميس بأرؤس احبابه
وفي الترب اجسامهم صرعاً بقضب الضلال واحزابه
ويرعى نساه ويرعى عينه بمنسجم الدمع منسابه